شرح كتاب الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

للشيخة
أم عبد الله بنت الشيخ مقبل بن هادي الوادعي
حفظها الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

❐أسئلة وأجوبة الدرس (٨)❐

١. ما أصل البعث؟

أَصْلُهُ الْإِثَارَةُ، وَيُطْلَقُ عَلَى التَّوْجِيهِ فِي أَمْرٍ مَا.

٢. ما ضرورة إرسال الله الرسل للعباد؟

أخرج الله بهم الناس من الظلمات إلى النور، ومن الكفر إلى الإيمان، والحاجة للرسل أشد من حاجة الطعام والشراب النفّس.

٣. هل الرسالة كرامة للرسول؟

كرامة عظيمة، قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾[الحج].

٤. ما معنى يتحنث؟

يتعبد.

٥. أين الغار الذي كان يتعبد فيه النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة، والغار الذي دخل فيه النبي ﷺ في الهجرة إلى المدينة؟ الْغَارُ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَبَّدُ فِيهِ فِي جَبَلِ حِرَاءٍ، وَالْغَارُ الَّذِي أَوَى إِلَيْهِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، وَهُوَ مُطِلٌّ عَلَى مَكَّةَ.

٦. هل كانوا يتعبدون في غار حراء قبل البعثة؟

هذا جاء في حديث سنده حسن.

٧. أين كان النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أول ما نزل عليه الوحي؟ في غار حراء.

٨. ما هو شهر المبعث الذي بعث فيه؟

شهر رمضان.

٩. أول ما نزل من القرآن؟

الخمس الآيات الأولى من سورة العلق.

١٠. أول من آمن بالنبي ﷺ؟

خديجة رضي الله عنها.

١١. كيف كان موقف خديجة عند أن رجع النَّبِيّ ﷺ إليها يرجف فؤاده؟

ثَبَّتَتْهُ وَقَالَتْ: أَبْشِرْ كَلَّا وَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ.

١٢. ماذا يرى الحافظ ابن حجر في أول من آمن؟

يرى أنها خديجة.

١٣. ما حال ورقة بن نوفل؟

صحابي.

١٤. ما حال رواية عن فتور الوحي: (فَاغْتَمَّ لِذَلِكَ، وَذَهَبَ مِرَارًا لِيَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ الجِبَالِ)؟ هذه اللفظة منكرة، وهي من بلاغات الزهري رحمه الله تعالى.

١٥. كم كان عمر علي بن أبي طالب عند أن أسلم؟

ثمان سنوات، وقيل أكثر من ذلك.

١٦. هل صحيح أن علي أسلم قبل أبي بكر؟

لا.

١٧. ما اسم أبي بكر الصديق؟

عبدالله بن عثمان.

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس (٩)

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِير رحمه الله:

فَصْلٌ: فِتْنَةُ الْمُعَذَّبِينَ وَالْهِجْرَةُ إِلَى الْحَبَشَةِ (١)

وَلَمَّا اشْتَدَّ أَذَى الْمُشْرِكِينَ عَلَى مَنْ آمَنَ وَفَتَنُوا مِنْهُمْ جَمَاعَةً(٢)

---

(١) هذا الفصل عن ابتلاء الصحابةِ رضي الله عنهم في أول الإسلام، وبيان الهجرتين الأولى والثانية إلى الحبشة.

وقد كان سببُ اشتدادِ أذى المشركين للمسلمين أنهم رَأوا انتشارَ الإسلام، وكثرة من يسلم فاغتاظوا لذلك، وازداد أذاهم، شأنُ الأعداء أنهم يغيظهم ظهورُ الحق وانتشارُه، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة:٣٢].

ومما استفدنا من والدي الشيخ مقبل رحمه الله تعالى: الدَّعوَةُ إِذَا قَوِيَت كَثُرَ أَعدَاؤُهَا.

(٢)الفتنة: الابتلاء والاختبار. قال الحافظ في «فتح الباري» شرح أول كتاب الفتن، وتبويب حديث(٧٠٤٨): قال الرّاغب: أصل الفتن:-إدخال الذّهب في النّار؛ لتظهر جودته من رداءته.

ويستعمل في إدخال الإنسان النّار، ويطلق على العذاب. كقوله تعالى: ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾ [الذّاريات: ١٤].

وعلى ما يحصل عند العذاب، كقوله تعالى: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التّوبة: ٤٩].

وعلى الاختبار. كقوله تعالى: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

وفيما يدفع إليه الإنسان من شدّة ورخاء، وفي الشّدة أظهر معنىً وأكثر استعمالًا. قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]، أي: يوقعونك في بليّةٍ وشدّةٍ في صرفك عن العمل بما أوحي إليك.

وقال أيضًا: الفتنة تكون من الأفعال الصَّادرة من الله، ومن العبد، كالبليّة والمصيبة والقتل والعذاب والمعصية، وغيرها من المكروهات؛ فإن كانت من الله فهي على وجه الحكمة. وإن كانت من الإنسان بغير أمر الله فهي مذمومة، فقد ذمّ الله الإنسان بإيقاع الفتنة، كقوله: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [البروج: ١٠]، وقوله: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الصّافات: ١٦٢]، وقوله: ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾﴾ [القلم: ٦]، وكقوله: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

وقال غيره: أصل الفتنة الاختبار، ثمّ استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، ثمّ أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه، كالكفر والإثم والتّحريق والفضيحة والفجور وغير ذلك.

حَتَّى إِنَّهُمْ كَانُوا يَصْبِرُونَهُمْ(٣)، وَيُلْقُونَهُمْ فِي الحَرِّ، وَيَضَعُونَ الصَّخْرَةَ العَظِيمَةَ عَلَى صَدْرِ أَحَدِهِمْ فِي شِدَّةِ الحَرِّ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أُطْلِقَ(٤) لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْلِسَ مِنْ شِدَّةِ الأَلَمِ، فَيَقُولُونَ لِأَحَدِهِمْ: اللَّاتُ إِلَهُكَ مِنْ دُونِ اللهِ. فَيَقُولُ مُكْرَهًا(٥): نَعَمْ!

---

(٣) أي: يحبسونهم. قال الخطابي في «معالم السنن»(٤/٢٧٧): أصل الصبر الحبس، ومنه قيل: قتل فلان صبرًا، أي: قهرًا، أو حبسًا على الموت.

فكانوا يحبسونهم ويمنعونهم عن الطعام والشراب، ويقونهم في حرارة الشمس؛ ليفتنوهم عن دينهم.

(٤) أي: خُلِّي سَبيلُه.

(٥) في بعض النسخ (اللَّاتي) والموافق للقرآن لفظ: اللَّاتُ.

وهذا أحد موانع التكفير الإكراه. فالتكفير له موانع:

الأول: الإكراه، قال ﷻ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾[النحل: ١٠٦].

الثاني: الخطأ، فإذا سبق اللسانُ إلى كلمةٍ كفريةٍ لا يضر، قال سبحانه: ﴿وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ﴾[الأحزاب:٥].

وفي معناهُ مَنْ أُغلق على عقله وغُطِّيَ عليه، بسبب غضبٍ، أو فرح، أو سُكْرٍ، ونحو ذلك روى البخاري (٣٠٩١)، ومسلم (١٩٧٩) عن عليٍّ رضي الله عنه أن حمزة سَكِرَ، فقال حَمْزَةُ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولِمن معه من الصحابة: هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا عَبِيدٌ لِأَبِي؟

وَحَتَّى إِنَّ الجُعَلَ (٦) لَيَمُرُّ فَيَقُولُونَ: وَهَذَا إِلَهُكَ مِنْ دُونِ اللهِ.

الثالث: الجهل، قال ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾[الإسراء: ١٥].

الرابع-وهو الأخير-: التأويلُ السائغ، هناك تأويلات لا تُبرِّر العذرَ لصاحبها، مثل: أن ينكر شيئًا معلومًا من الدين ضرورة، كإنكار البعث وجحد الصلوات الخمس وما أشبه ذلك.

إلا إذا كان حديثَ عهدٍ بإسلام، قال الشيخُ ابنُ عثيمين رحمه الله في «القواعد المُثلى» (٨٩): قال أهلُ العلم: لا يكفر جاحد الفرائض إذا كان حديث عهد بإسلام، حتى يُبيَّن له. اهـ.

والتكفير مسألة خطيرة جدًّا يُرجَع فيها إلى العلماء، لأنهم السادةُ والقادةُ، وهم الذين يُقيمون الحُجج كما قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾[المائدة:٦٣].

(٦) قال الدَّمِيري في «حياة الحيوان الكبرى» (١/ ٢٨١): الجُعَل كـ(صُرَد، ورُطب)، جمعه جِعْلان بكسر الجيم والعين ساكنة.

والناس يسمونه أبا جَعْران؛ لأنه يجمع الجعر اليابس، ويدخره في بيته.

وهو أكبر من الخُنفساء، شديد السواد، في بطنه لون حمرة، للذكر قرنان، يوجد كثيرًا في مراح البقر والجواميس، ومواضع الروث.

ويتولَّدُ غالبا من أخثاء البقر، ومِن شأنه جمعُ النجاسة وادِّخارها.

ومن عجيب أمره أنه يموت من ريح الورد وريح الطيب، فإذا أُعيد إلى الروث عاش، وله جناحان لا يكادان يُريان إلا إذا طار، وله ستة أرجل وسنام مرتفع جدًا.

فَيَقُولُ: نَعَمْ(٧)!

وهو يمشي القهقرى، أي: يمشي إلى خلف، وهو مع هذه المشية يهتدي إلى بيته.

وإذا أراد الطيران تنفَّش فيظهر جناحاه فيطير، ومن عادتِه أن يحرس النيامَ، فمن قام لقضاء حاجته تبعه؛ وذلك من شهوته للغائط؛ لأنه قُوْته. اهـ المراد.

و(الخُنفساء) الخُنْفُساء: دويبة سوداء منتنة. كما في «شمس العلوم»(٣/ ١٨٦٣).

(أخثاء البقر) خَثَى الْبَقَرُ خَثْيًا مِنْ بَابِ رَمَى، وَهُوَ كَالتَّغَوُّطِ لِلْإِنْسَانِ. كما في «المصباح المنير»(١٦٤).

(وريح الطيب) وهذا كما قال ابن الوردي في «لاميته»:

أَيُّهَا الْعَائِبُ قَوْلِي عَبَثًا... إِنَّ طِيبَ الْوَرْدِ مُؤْذٍ بِالْجُعَلِ

(٧) قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ كما في «السيرة»(١/ ٣٢٠): وَحَدَّثَنِي حَكِيمُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: أَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَبْلُغُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْعَذَابِ مَا يُعْذَرُونَ بِهِ فِي تَرْكِ دِينِهِمْ؟ قَالَ: نَعَمْ وَاَللَّهِ، إنْ كَانُوا لَيَضْرِبُونَ أَحَدَهُمْ وَيُجِيعُونَهُ وَيُعَطِّشُونَهُ حَتَّى مَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْتَوِيَ جَالِسًا مِنْ شِدَّةِ الضُّرِّ الَّذِي نَزَلَ بِهِ.. الحديث.

وسنده ضعيف؛ فيه حَكِيم بن جُبَير الأسَدي، وقيل: مولى ثَقِيف، الكوفي: ضعيفٌ رُمِيَ بالتشيع.

ولكن هذا مشهور اشتداد العذاب على من أظهر إسلامه من الصحابة، كما في حديث ابن مسعود الآتي في التعليق، وكذا غيره. ومن شدَّة التعذيب يُظهر الكفر مُكْرَهًا وهو في الباطن مؤمن؛ ولهذا جزمَ أهلُ العلم أنَّ مكة قبل الهجرة لم يكن فيها نفاقٌ اعتقادي؛ لضعف المسلمين، ولا يُسلم فيها إلا مَن كان عن رغبة في الإسلام.

وقد فصَّل ابنُ كثير في «تفسيره» بكلامٍ يُستفادُ منه تاريخ ظهور النفاق الاعتقادي-أعاذنا الله منه-، ما نصه:

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة: ٨]: إِنَّمَا نَزَلَتْ صِفَاتُ الْمُنَافِقِينَ فِي السُّوَرِ الْمَدَنِيَّةِ؛ لِأَنَّ مَكَّةَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا نِفَاقٌ، بَلْ كَانَ خِلَافُهُ مِنَ النَّاسِ مَنْ كَانَ يُظْهِرَ الْكُفْرَ مُسْتَكْرَهًا، وَهُوَ فِي الْبَاطِنِ مُؤْمِنٌ.

فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المدينة وَأَسْلَمَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ قَبِيلَتَيِ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ وَقَلَّ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْيَهُودِ إِلَّا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ رضي الله عنه، وَلَمْ يَكُنْ إِذْ ذَاكَ نِفَاقٌ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدُ شَوْكَةٌ تُخَافُ، بَلْ قَدْ كَانَ عليه السلام وَادَعَ الْيَهُودَ وَقَبَائِلَ كَثِيرَةً مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ حَوَالَيِ المدينة، فلما كانت وقعة بدر وأظهر الله كلمته وأعز الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ. ثم ذكر قصة عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ سَلُولَ-وَكَانَ رَأْسًا فِي الْمَدِينَةِ-وَهُوَ مِنَ الْخَزْرَجِ وَكَانَ سَيِّدَ الطَّائِفَتَيْنِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانُوا قَدْ عَزَمُوا عَلَى أَنْ يُمَلِّكُوهُ عَلَيْهِمْ، فَجَاءَهُمُ الْخَيْرُ وَأَسْلَمُوا، وَاشْتَغَلُوا عَنْهُ فَبَقِيَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ بدر قال: هذا أمر الله قَدْ تَوَجَّهَ، فَأَظْهَرَ الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ وَدَخَلَ مَعَهُ طَوَائِفُ مِمَّنْ هُوَ عَلَى طَرِيقَتِهِ وَنِحْلَتِهِ، وَآخَرُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

قال: فَمِنْ ثَمَّ وُجِدَ النِّفَاقُ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا مِنَ الْأَعْرَابِ.

قال: فَأَمَّا الْمُهَاجِرُونَ فَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحَدٌ نافق؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يُهَاجِرُ مُكْرَهًا، بَلْ يهاجر فيترك مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَأَرْضَهُ؛ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ. اهـ.

وَمَرَّ الخَبِيثُ عَدُوُّ اللهِ أَبُو جَهْلٍ عَمْرُو بْنُ هِشَامٍ بِسُمَيَّةَ أُمِّ عَمَّارٍ(٨)، وَهِيَ تُعَذَّبُ وَزَوْجُهَا وَابْنُهَا، فَطَعَنَهَا بِحَرْبَةٍ فِي فَرْجِهَا فَقَتَلَهَا(٩)، رضي الله عنها، وَعَنْ ابْنِهَا وَزَوْجِهَا.

---

(٨) سمية: ابنة خبَّاط، بمعجمة مضمومة وموحدة ثقيلة، ويقال: بمثناة تحتانية، وعند الفاكهي: سمية بنت خبط، بفتح أوله بغير ألف، مولاة أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، والدة عمار بن ياسر، كانت سابعة سبعة في الإسلام. اهـ المراد من «الإصابة»(٨/١٨٩).

(٩) هذا يذكره أهلُ السير أنه مرَّ بها أبو جهل فطعنها في قُبُلِها فماتت رضي الله عنها بسبب ذلك، وأنها أول شهيد في الإسلام، ولكنه من حيث السند رواه مجاهد مرسلًا، وهذا نصه:

عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: أَوَّلُ شَهِيدٍ كَانَ فِي الْإِسْلَامِ اسْتُشْهِدَ أُمُّ عَمَّارٍ سُمَيَّةُ طَعَنَهَا أَبُو جَهْلٍ بِحَرْبَةٍ فِي قُبُلِهَا. رواه ابن سعد في «الطبقات»(٨/٢٠٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة»(٢/٢٨٢) واللفظ له.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ كما في «البداية والنهاية»(٣/٥٩): حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: أول شهيد كان في أول الْإِسْلَامِ اسْتُشْهِدَ أُمُّ عَمَّارٍ سُمَيَّةُ، طَعَنَهَا أَبُو جهل بحربة في قبلها.

قال الحافظ ابن كثير عقِبَه: وَهَذَا مُرْسَلٌ.

وقال الحافظ في «الإصابة»(٨/١٩٠): وهو مرسل، صحيح السند. اهـ.

فهؤلاء الثلاثة-آل ياسر-كان لهم السَبْق في الإسلام، وعذَّبهم الكفار وفتنوهُم: ياسر أبو عمار-وهو صحابي جليل، وعمار بن ياسر-وهو أبو اليقظان-، وأمه سمية.

وعمار وأمه من السبعة الذين هم أوَّل من أظهر الإسلامَ. أخرج ابنُ ماجه (١٥٠)عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِلَالًا، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ. والحديث حسن؛ من أجل عاصم بنِ أبي النجود، وقد حسَّنه والدي رحمه الله في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» رقم(٨٤٧).

قال الزرقاني في «شرح المواهب اللدنية» (١/٤٩٨): «فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله» من أذية الكفار البالغة المتوالية، فلا ينافي وطء عتبة رقبته وسب أبي جهل، ونحو ذلك.

«بعمه أبي طالب» وبغيره.

«وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه» من الأذى المتوالي.

«وأما سائرهم» أي: باقيهم.

«فألبسوهم أدراع الحديد» جمع درع، ولعل الإضافة للاحتراز عن نحو القمص.

«وصهروهم» بفتح الهاء مخففًا طرحوهم في الشمس؛ لتؤثِّر حرارتها فيهم.

«هانت نفسه عليه في الله ﷻ» فلم يبال بتعذيبهم، وصبر على أذاهم.

«وهان على قومه» أي: مواليه. اهـ المراد.

فهؤلاء السبعةُ المذكورون في هذا الحديث سبقوا في إظهار الإسلام، ولفظة (أظهر) تدل أن هناك مسلمين لكنهم مستخفون.

(واتاهم) أي: وافقهم؛ تقيةً، نعوذ بالله من الفتن.

وهناك حديث أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط»(١٥٠٨) والحاكم في «المستدرك»(٥٦٦٦)من طريق أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَبِأَهْلِهِ، وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فِي اللَّهِ ﷻ، فَقَالَ: «أَبْشِرُوا آلَ يَاسِرٍ، مَوْعِدُكُمُ الْجَنَّةُ».

وأبو الزبير مدلِّسٌ، وقد عنعن.

وله شواهدُ، وقد ذكرهُ الشيخُ الألباني ﷺ في «صحيح السيرة».

هذا، وما في حديث ابن مسعود: (فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ) ليس معناه أنه لم يؤْذَ إطلاقًا، ولكن من أذية الكفار البالغة المتوالية كما تقم في كلام الزرقاني.

وذكر الحافظ في «فتح الباري» شرح تبويب حديث(٣٨٥٢): أنه أُجِيبَ بِأَنَّ جَمِيعَ مَا أُوذِيَ بِهِ أَصْحَابُهُ كَانَ يَتَأَذَّى هُوَ بِهِ؛ لِكَوْنِهِ بِسَبَبِهِ، وَاسْتُشْكِلَ أَيْضًا بِمَا أُوذِيَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنَ الْقَتْلِ، كَمَا فِي قِصَّةِ زَكَرِيَّا وَوَلَدِهِ يَحْيَى، وَيُجَابُ بِأَنَّ الْمُرَادَ هُنَا غَيْرُ إِزْهَاقِ الرُّوحِ.

والأدلة كثيرة التي تدل أنه كان ﷺ يؤذى، وقد يسر الله بجملة منها في كتابي «الصحيح المسند من الشمائل المحمدية»، ونقتصر هنا على ثلاثة من الأدلة:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللهِ، وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا مَا وَارَى إِبْطُ بِلَالٍ» رواه ابن ماجه ﷺ (١٥١).

عن عَائِشَةَ ﵂، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ! وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ! فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا

وَكَانَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ إِذَا مَرَّ بِأَحَدٍ مِنَ المَوَالِي(١٠) يُعَذَّبُ، يَشْتَرِيهِ مِنْ مَوَالِيهِ(١١)، وَيُعْتِقُهُ (١٢).

مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ، فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ. فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَاللهِ بْنَ عَمْرٍو، عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ المُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَجَاءَ أبو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ. رواه البخاري (٣٦٧٨).

(وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ) فالعشيرة قد تنفع، وقد يكون من الأقرباء الذين هم على كفر، ولكن بسبب العصبية ينصر قريبه المسلم.

(١٠) وهم الأرقَّاء.

(١١) أسياده.

(١٢) وهذا من محاسن ومناقب أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رقة قلبه، ورحمته، وعطفه على الأرقاء؛ وقد كان معروفًا حتى عند الأعداء بالكرم والسخاء والصفات الحميدة، روى

البخاري (٣٩٠٥) أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفَيْ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الْغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي، قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ، إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ، ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ، فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ، فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلَا يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الْكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ، وَقَالُوا لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَلْيُصَلِّ فِيهَا، وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلَا يُؤْذِينَا بِذَلِكَ، وَلَا يَسْتَعْلِنْ بِهِ، فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ، فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ، وَلَا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَيَنْقَذِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً لَا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَأَعْلَنَ بِالصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَانْهَهُ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي

بَكْرٍ الِاسْتِعْلَانَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي، فَإِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ ﷻ. الحديث.

مِنْهُمْ: بِلَالٌ، وَأُمُّهُ حَمَامَةُ، وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَأُمُّ عُبَيْسٍ، وَزُهَيْرَةُ، وَالنَّهْدِيَّةُ، وَابْنَتُهَا، وَجَارِيَةٌ لِبَنِي عَدِيٍّ (١٣)، كَانَ عُمَرُ يُعَذِّبُهَا عَلَى الإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ (١٤)، حَتَّى قَالَ لَهُ أَبُوهُ أَبُو قُحَافَةَ(١٥): يَا بُنَيَّ، أَرَاكَ تُعْتِقُ رِقَابًا ضِعَافًا، فَلَوْ أَعْتَقْتَ قَوْمًا جُلْدًا يَمْنَعُونَكَ (١٦).

---

(١٣) هؤلاء ثمانية موالي لأبي بكرٍ-ولاء عتق-رضي الله عنهم أجمعين، ست نسوة، واثنان من الرجال.

وهذا من أجَلِّ أعمال أبي بكر فك الرقاب المستضعفة؛ ولهذا كان عمر رضي الله عنه يقول: أبو بكر سيّدنا، وأعتق سيّدنا بلالا. رواه البخاري(٣٧٥٤).

وقال أبو بكر بن أبي شيبة في «المصنف»(٧/٣٣٧): سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ-يَعْنِي-بِلَالًا بِخَمْسَةِ أَوَاقٍ، وَهُوَ مَدْفُونٌ بِالْحِجَارَةِ.

وقيس: ابن أبي حازم مخضرم كبير.

قال الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء»(١/٣٥٣): إِسْنَادُهُ قَوِيٌّ. اهـ ولكن قيس بن أبي حازم لم يدرك القصة.

وما أحب أبو بكر أن يفارقه بلالٌ بعد وفاة النبي ﷺ؛ ليبقى مؤذنًا في مسجد النبي ﷺ، وقد كان أراد الجهاد، روى البخاري(٣٧٥٥) عَنْ قَيْسٍ، أَنَّ بِلاَلًا، قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا اشْتَرَيْتَنِي لِنَفْسِكَ، فَأَمْسِكْنِي، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا اشْتَرَيْتَنِي لِلَّهِ، فَدَعْنِي وَعَمَلَ اللَّهِ.

قال الحافظ في «فتح الباري»(٣٧٥٥): وَذكر ابن سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ» فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنَ الزِّيَادَةِ أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ أَفْضَلَ عَمَلِ الْمُؤْمِنِ الْجِهَادَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُرَابِطَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لِبِلَالٍ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ وَحَقِّي، فَأَقَامَ مَعَهُ بِلَالٌ حَتَّى تُوُفِّيَ، فَلَمَّا مَاتَ أَذِنَ لَهُ عُمَرُ فَتَوَجَّهَ

إِلَى الشَّامِ مُجَاهِدًا، فَمَاتَ بِهَا، فِي طَاعُونِ عَمْوَاسَ سَنَةَ ثَمَان عَشْرَةَ، وَقِيلَ: سَنَةَ عِشْرِينَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِدِمَشْقَ، وَدُفِنَ بِبَابِ الصَّغِيرِ، وَبِهَذَا جَزَمَ النَّوَوِيُّ.

وأمه حمامة لها ترجمة في «الإصابة في تمييز الصحابة» للحافظ ابنِ حجر.

وعامر بنُ فُهيرة: مولى أبي بكر، كان ممن يُعذب في الله، وقصته في الهجرة من مكة إلى المدينة مرافقًا للنبي ﷺ وأبي بكر في «صحيح البخاري» (٣٩٠٥).

أُمُّ عبيس: وقع في ط مكتبة الهدي المحمدي الطبعة الأولى: عَبْس.

وما أثبتناه نص عليه ابن الأثير في «أُسْدِ الغابة» (٧/ ٣٥٣)، وقال في ترجمتها: عبيس: بضم العين المهملة، وفتح الباء الموحدة، وتسكين الياء تحتها نقطتان، وآخره سين مهملة.

(١٤) وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه شديدًا على المسلمين قبل إسلامه، حتى إنه روى البخاري(٣٨٦٧) من طريق قَيْس-وهو ابن أبي حازم-قَالَ سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ يَقُولُ لِلْقَوْمِ: لَوْ رَأَيْتَنِي مُوثِقِي عُمَرُ عَلَى الْإِسْلَامِ أَنَا وَأُخْتُهُ وَمَا أَسْلَمَ، وَلَوْ أَنَّ أُحَدًا انْقَضَّ لِمَا صَنَعْتُمْ بِعُثْمَانَ لَكَانَ مَحْقُوقًا أَنْ يَنْقَضَّ.

ربطَ عمرُ بن الخطاب سعيدَ بن زيد، وزوجته فاطمة بنت الخطاب، أخت عمر بن الخطاب-رضي الله عنهم أجمعين-؛ تعذيبًا لهما، وإرجاعهما من الإسلام إلى الكفر.

وفاطمةُ بنت الخطاب يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في «فتح الباري» تحت رقم (٧٦٣) عن أُمِّ الْفَضْلِ: اسمهَا لُبَابَة بِنْتُ الْحَارِثِ الْهِلَالِيَّةِ، يُقَالُ: إِنَّهَا أَوَّلُ امْرَأَةٍ أَسْلَمَتْ بَعْدَ خَدِيجَةَ. قال: وَالصَّحِيحُ أُخْتُ عُمَرَ زَوْجُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ؛ لِمَا سَيَأْتِي فِي الْمَنَاقِبِ مِنْ حَدِيثِهِ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَعُمَرَ مُوثِقِي وَأُخْتَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَاسْمُهَا فَاطِمَةُ. اهـ المراد.

ويكون عندنا مع ما تقدم في الدرس الذي قبل هذا بعض الأوائل:

فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: إِنِّي أُرِيدُ مَا أُرِيدُ. فَيُقَالُ: إِنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ [الليل:١٧-١٨]، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ (١٧).

أول من أسلم من النساء خديجة.

أول من أسلم من النساء بعد خديجة: فاطمة بنت الخطاب.

أول شهيدة في الإسلام سُمية رضي الله عنهن أجمعين.

ومسألة الأوائل، ومعرفة أول من قام بهذا أو سبق إلى هذا يعتبر فَنًّا، حتى إنه قد أُلِّف في الأوائل.

(١٥) هذا والد الصدِّيق، واسمه عثمان صحابي أسلم عام فتح مكة رضي الله عنه، وقد كان كبيرًا في السن، وقصة إسلامه في «مسند الإمام أحمد» (٢٦٩٥٦).

(١٦) أي: أقوياء يمنعونك ويكونون أنصارًا لك.

(١٧) هذا لم يثبت سنده؛ أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة»(١/ ٣١٩) من طريق عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِهِ، قَالَ: قَالَ أَبُو قُحَافَةَ لِأَبِي بَكْرٍ: يَا بُنَيَّ...، وفي آخره سبب نزول هذه الآيات، قال: فَيُتَحَدَّثُ أَنَّهُ مَا نَزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ إِلَّا فِيهِ، وَفِيمَا قَالَ لَهُ أَبُوهُ.. فذكرها. وفي السند مبهم كما ترى.

وهي في «الدرر في اختصار المغازي والسير»(٤٦) لابن عبد البر، و«عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير»(١/ ١٣٠) لابن سيد الناس، مصدرًا بصيغة التمريض(رُوِيَ).

وجاء عند ابنِ أبي حاتمٍ في تفسير هذه الآية: عَنْ عُرْوَةَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ أَعْتَقَ سبعة كلهم يعذب في الله، بلال، وَعَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ، وَالنَّهْدِيَّةَ، وَابْنَتَهَا، وَزِنِّيرَةَ، وَأُمَّ عِيسَى وَأَمَةَ بَنِي الْمُؤَمِّلِ، وَفِيهِ نَزَلَتْ ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

وهذا مرسل؛ لأن عروة تابعي وحكي شيئًا على عهد النبي ﷺ ولم يشهده.

وينظر «السيرة»(١٩٢) لابن هشام.

وسبب نزول هؤلاء الآيات قد حُكي ذلكَ إجماعًا، قال ابنُ الجوزي في «زادِ المسير» في تفسير هذه الآية: يعني: أبا بكر الصدِّيق في قول جميع المفسرين.

وقال الحافظ ابنُ كثير في «تفسيره»(٨/ ٤٢٢): قَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ حَكَى الْإِجْمَاعَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى ذَلِكَ.

قال: وَلَا شَكَّ أَنَّهُ دَاخِلٌ فِيهَا وَأَوْلَى الْأُمَّةِ بِعُمُومِهَا؛ فَإِنَّ لَفْظَهَا لَفْظُ الْعُمُومِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾ [الليل:١٧-١٩]، وَلَكِنَّهُ مُقَدَّمُ الْأُمَّةِ وَسَابِقُهُمْ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ وَسَائِرِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ، فَإِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا تَقِيًّا كَرِيمًا جَوَادًا بَذَّالًا لِأَمْوَالِهِ فِي طَاعَةِ مَوْلَاهُ وَنُصْرَةِ رسول الله ﷺ، فَكَمْ مِنْ دَرَاهِمَ وَدَنَانِيرَ بَذَلَهَا؛ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ، وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ عِنْدَهُ مِنَّةٌ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُكَافِئَهُ بِهَا، وَلَكِنْ كَانَ فَضْلُهُ وَإِحْسَانُهُ عَلَى السَّادَاتِ وَالرُّؤَسَاءِ مِنْ سَائِرِ الْقَبَائِلِ؛ وَلِهَذَا قَالَ لَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ وَهُوَ سَيِّدُ ثَقِيفٍ يَوْمَ صُلْحِ الحديبية: أما والله لولا يدٌ لك كَانَتْ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ.

وَكَانَ الصدِّيق قد أغلظ له في المقالة، فإن كَانَ هَذَا حَالُهُ مَعَ سَادَاتِ الْعَرَبِ وَرُؤَسَاءِ القبائل فكيف بمن عداهم؟ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل:١٩-٢١].

انتهينا ولله الحمد، ويليه إن شاء الله هجرة الصحابة إلى الحبشة الأولى والثانية.